

الفوارس

عبد الله البحري

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

قصص حكايات

الفوارس

٣

جمال شاهين

١٩٩٣

عبد الله البحري

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

قصص وحكايات الفوارس

جمال شاهين

عبد الله البحري

جمال شاهين



قمر الليل

مرين أو مرينة مدينة ساحلية واقعة على ساحل البحر الكبير، ويحكمها ملك عادل من ملوك ذاك الزمان المجهول ، وهي مدينة الأسماك ذات الأشكال والألوان الباهرة الساحرة الصغيرة والكبيرة التي تدل على عظمة الخلاق العليم ، وكان لملك المدينة فتاة رائعة الحسن والجمال، قد بلغت من العمر الميمون خمسة عشر ربيعا ، وتتطلع إليها عيون الوزراء والأمراء لتزويجها لأبنائهم الشباب ، وكان من عادة الملوك في تلك المدينة تزويج بناتهم بعد بلوغهن السابعة عشرة وكان للوزير فتى يطمع بأن يتزوج من ابنة الملك عند بلوغها سن الزواج ، فكان يعد الأيام والساعات شوقا للتقدم إلى خطبة الفتاة قبل غيره من الأقران ، فالملك ليس له من البنات سواها فيرنو هذا الشاب أن يكون السابق إليها من بين أولاد السادة ، وكان غيره من الأبناء يستعد للمنافسة ، وما كان عندهم علم بما يقلق الملك ويثيره من أمر ابنته الوحيدة " قمر الليل " ، فمنذ سنوات انقضت أخبرته خادمة الطهي في القصر أن السمك يتكلم ، فكلما يوضع في مقلى القلي ينطق ويقول :"الأمير عبد الله البحري سوف يتزوج الأميرة قمر الليل، فانتظروا الأمير..!" تعجبت الخادمة من ذلك ، وتكرر الأمر ، فأخبرت سيدتها الملكة التي أخبرت الملك بذلك ، فاستغرب واحتار لمَ سمع وشاهد ، السمك يتكلم ويطلب يد ابنته لرجل مجهول فيتساءل "من هو الأمير البحري هذا؟! " هذا سر يتردد في أجواء القصر وقد بحث الملك بين صيادي البلاد عن الأمير عبد الله البحري ، فلم يجد أحدا يحمل هذا الاسم ، والأميرة علمت مثل غيرها من سكان القصر ، فعجبت منه وتتسأل بدورها " من هو عبد الله البحري؟!.. ومتى يظهر الأمير عبد الله البحري ؟! " فكان هذا الأمر يقلق الملك العادل وأسرته .

وكان في المدينة صياد فقير الحال ، له زوجة وولدان أحدهما اسمه عبد الله ، وقد فقده منذ خمس سنوات، عندما سقط الطفل في البحر وغرق ، واختفت جثته ومات، فحزن عليه حزنا شديدا وللصياد كوخ حقير يسكن فيه بين أكواخ الصيادين ، وكوخه من شدة الفقر والحاجة لا يستطيع تغييره ، وكان يمكث الساعات الطويلة في الصيد لا يصيد إلا سمكة واحدة أو اثنتين

فيشتريها منه تجار السمك شفقة وإحسانا بدرهم أو نصفه ، فيشتري به خبزا ولحما أو جبنة ، فيذهب به لابنته ولزوجته الصابرة على شظف العيش والحال ، ولما زادت البنت على عشر سنوات كانت تذهب للخدمة في بيوت الأمراء والأغنياء؛ لتساعد والدها على قسوة الحياة والفقر ، وعندما يمرض الصياد الضعيف وما أكثر أمراضه لا يجد لقمة العيش إلا التي تجلبها البنت من عملها في خدمة البيوت من مساعدة في التنظيف والغسيل والخبز .

كان من العرف الشائع في مرين أنه إذا ولد مولود سواء كان ذكرا أم أنثى يؤخذ للواشم فيرسم عليه صورة ، وغالبا ما تكون من صور مخلوقات البحر تبقى مرافقة له حتى المات ، وكل عائلة تلتزم صورة معينة على الأولاد كلهم ، وكان الصياد قد اختار صورة طير يحب البحر رسمت على ظهر ولده وابنته ضحى ، وكان الصياد مع الأيام قد نسي ابنه الغريق وغلب على ظنه موته وهلاكه ، وهكذا كان هذا الصياد يعيش أيام حياته ، وكان أكثر ما يزعجهم عندما يطهون السمك يسمعونه يقول " أيها الصياد المسكين! .. عبد الله لم يهلك إنه حي يرزق يعيش في البحر"، ولما تكرر الحال امتنعوا عن طهي السمك؛ لأنه يذكرهم بابنهم عبدالله فيتجدد حزنهم وبكاؤهم ، ويعود الأمل في صدورهم بحياة ولدهم ، فكرهوا أكل السمك حتى لا يسمعوا هذه الكلمات ، ولا يتكلمون بذلك حتى لا تسخر منهم الناس عندما يقولون : إن السمك يتكلم ، فانحصر هذا السر بينهم ، وابنة الصياد الفتاة الفقيرة تعمل في بيوتات الأمراء والأغنياء فيشفقن عليها ويتقبلن عملها ، فلما بلغت خمسة عشر عاما أخبرتها إحدى السيدات أنها سترسلها للعمل في قصر الملك إذا أحبت ذلك ؛ لأن ابنة الملك أكملت الخامسة عشرة ، وتريد أن تجعلها وصيفة لها لأنها في مثل سنها ، فرضيت ضحى بأن تكون وصيفة لابنة الملك ، فأخذتها الملكة بعد أن رحبت بها وقد أعجبها شكلها وحزنها ، فقامت الخادمات بتنظيفها وتحسينها وإلباسها الثياب الجميلة ، وتعليمها الواجبات المطلوبة منها حتى تعرضها الملكة على ابنتها لتعمل وصيفة لها ، ولما تجهزت عرضتها الملكة على الأميرة قمر الليل فسرت بها ، فهي من جيلها وبنات سن واحدة ، وكان يسمح لها بقضاء يوم واحد مع أهلها بين الحين والحين، وفرح أهلها

لعمل ابنتهم في القصر، وأحبتها قمر الليل ، وكانت ترافقها في جولاتها في الرياض والحدائق ذات البهجة ، وأحبت ضحى الفقيرة الأميرة قمر الليل ، وسرت بخدمتها للأميرة ، وكانت الأميرة قد أشفقت عليها ، وطلبت من والدها أن يبني لهم كوخا جميلا بدل كوخهم الحقير، وكانت تقدم لها مالا لتعطيه لوالدها الصياد المريض إلى أن كان ذات يوم وقد جلست الأميرة تتناول الطعام الذي أحضرته لها ضحى ، وأمرتها الأميرة بالجلوس لتأكل معها ، وبعد تمنع شديد رضخت ضحى لرغبة الأميرة ، وجلست تشارك الأميرة في طعامها وكان الطعام من السمك ..

وقالت الأميرة ممازحة الفتاة : يا ضحى الجميلة .. هل عمرك سمعت سمكا يتكلم ؟! ..إن السمك عندنا يتكلم !.

ارتبكت ضحى عند سماعها لسؤال الأميرة ثم ردت قائلة : أجل يا مولاتي! .. وعندنا سمك يتحدث .

دهشت الأميرة وتوقفت عن الطعام وقالت : ماذا تقولين يا ضحى ؟ أعندكم سمك يتكلم ؟! ماذا يقول سمككم ؟!

أخذت الفتاة بالبكاء ، مما زاد من استغراب الأميرة قمر الليل ، فقامت تهدئ من توتر الفتاة ، وقالت وهي تتعجب من تصرف وصيفتها : ما الذي أبكاك يا عزيزتي ضحى ؟! .. لقد زاد حزني عليك !

فقالت الفتاة من بين دموعها : سامحيني يا مولاتي الأميرة غلبتني الدموع عندما ذكرت أن السمك يتكلم .. لقد ذكرتيني بأخي عبد الله ..

همست قمر الليل : عبد الله ! من عبد الله ؟!

قالت ضحى : سأقول لك عن السمك الذي يتكلم .. كان لي أخ يكبرني بسنوات اسمه عبد الله ، وكان يذهب مع أبي الصياد إلى البحر، فسقط في البحر أثناء الصيد ، وجرفه الماء ، وكان صغيرا ذا عشر سنوات فغرق ومات ، بل أخذه البحر ولم يعد جثته إلينا .. وليس لأبي إلا أنا

وهو ، فحزن والديّ على موته، وشاخ أبي قبل الأوان من كثرة الحزن على عبد الله ، وكنا يا مولاتي الأميرة عندما نطهو السمك في البيت يقول " أيها الصياد المسكين .. عبد الله لم يهلك إنه حي يرزق يعيش في البحر " فيتجدد الحزن في البيت عندما نسمع كلام السمك.. ولكن من يصدق أن السمك يتكلم ؟! ثم قرر والدي بعد ذلك عدم طهي السمك في البيت .. ولما سألتيني تذكرت أخي الذي أعرفه جيدا .. ولكن هل رأيت أنت سمكا يتكلم يا مولاتي الأميرة ؟

تعجبت الأميرة لم سمعت فقالت : أيتها الأخت العزيزة .. أتأكدتم من موت عبد الله الصغير؟

فقالت الفتاة : نعم ، يا مولاتي طفل صغير ماذا سيفعل مع الماء وقوة البحر؟

فقالت الأميرة وهي ذاهلة : ضحى .. نحن عندما نطهو السمك يتكلم ويقول لنا ..ولكن حذار يا ضحى أن تقولي ما تسمعين مني لأحد حتى نبقى أصدقاء .

قالت ضحى : اطمئني يا سيدتي الأميرة لن أقول شيئا مهما كلف الأمر فماذا يقول سمككم

قالت الأميرة وهي ما زالت شاردة الذهن : يقول " الأمير عبد الله البحري .. سوف يتزوج الأميرة قمر الليل ، فانتظروا الأمير .. " هذا ما يقوله سمكنا أيتها الأخت وأبي في انتظار هذا الأمير الذي عرفنا اسمه ولم نره .. ومع سماعي لقصتك فإني أتعجب من هذا الأمر.. أتظنين أن الأمير عبد الله هو أخوك ؟

قالت الفتاة : أيمكن أن يكون أخي بعد كل هذه السنوات حيا أيتها الأميرة .

كان الصياد كلما تحسنت صحته رويدا يحمل شبكته الصغيرة، ويسير للشاطئ يلتقط رزقه ، فألقى الشبكة ذات صباح وبعد ساعة حركها وسحبها ، وقد شعر بثقل وهو يسحبها، فأصابه فرح كبير فمنذ عهد بعيد لم يصد سمكة كبيرة ، ولما خرجت الشبكة وسحبها على الرمل وجد فيها حيوانا بحريا غريبا يشبه الثعلب ، وسمعه يقول له : أيها الصياد .. خذني إلى قصر الملك

وخذ هذا الذهب ـ وهبه كمية من الذهب الأحمر ، وفرح الصياد فرحا كبيرا وهو يمسك قطع الذهب ـ هيا أيها الصياد أخرجني من شبكتك .

فكه من الشبكة ، وحمله بين يديه وتذكر طلبه فقال : أيها الحيوان إنك تتكلم فماذا قلت أو طلبت

مني ؟

تضاحك الحيوان البحري وقال : اذهب بي إلى الملك .

ومشى به إلى قصر الملك ، وسلمه للحرس وانصرف ، وأما الحرس فقد أصابهم الذعر والعجب من الحيوان الناطق بأفصح لسان مثلهم ، فاعلموا الملك بأمر هذا الحيوان العجيب ، فأمر بإدخاله عليه، فسلم الحيوان على الملك وقال له: أنا رسول ملكة البحر إليك.

فقال له الملك : وماذا تريد ملكة البحر منا أيها الرسول أيها المخلوق الغريب ؟!

قال الحيوان البحري : الملكة تطلب منك يد الأميرة قمر الليل للأمير عبد الله البحري أمير مملكتنا البحرية .

صمت الملك طويلا قبل أن يرد ، وكان يتذكر السمك المتكلم ثم قال : أيها المخلوق العجيب من هو الأمير عبد الله البحري؟! أريد أن أتعرف عليه قبل أن أزوجه وحيدتي .

فقال الحيوان : أيها الملك ! هل توافق على زواجها حتى اخبر مولاتي الملكة بالموافقة ؟

فصاح الملك : كيف أوافق قبل أن أرى مولاك ومولاتك ؟! .

فقال الحيوان : أيها الملك ! مولاي لا يستطيع أن يخرج إلى البر الآن .. فهو لا يستطيع ترك البحر إلا بعد موت الملكة .

فتعجب الملك من كلام الرسول وهتف قائلا : ما قصتكم أيها المخلوق البحري؟!.. كلامك غريب وعجيب .

فقال الحيوان : المهم أن توافق أيها الملك ، وعندما تجتمع بالأمير عبد الله البحري يقص عليك القصة .

فقال : وإذا لم نوافق ؟!

فأجابه قائلا : تغضب الملكة .. فهي تريد تزويج الأمير من إنسية.. فاحذر من غضبها عليك ؛ فإنك تخسر مملكتك.. وقد تخسر نفسك وابنتك أيضا .

فقال الملك : زواج بالقوة! .. حسنا وإذا وافقت فماذا أفعل ؟

رد الحيوان البحري : لا شيء سوى الوفاء بالعهد .

احتار الملك من ذلك الطلب حيرة كبيرة ، وبعد تفكير أرسل وراء وزيره كرار يشاوره في الأمر، فحضر سريعا واستمع لقصة ثعلب البحر ، فكاد يصعق من هول الخبر، فهو كان يخطط ويدبر ويحلم بتزويج ابنه من ابنة الملك الوحيدة ، فلما استوعب القضية هدأت نفسه قليلا وقال : أيها الملك هذا أمر غريب! لم نسمع به من قبل ، بنات ملوك الأرض تتزوج من أبناء ملوك البحر .. فالأفضل أن تسجن هذا الحيوان أو تقتله ثم نرى ما يحدث بعد ذلك .

فأمر الملك بسجن الحيوان ، وحث السجانين على حسن وفادته من طعام وشراب ، وبعد أيام صاد الصياد الفقير حيوانا أغرب من الأول ، فهو يشبه الذئب وأعطاه ذهبا ولؤلؤا مقابل توصيله لقصر السلطان ففعل ، والتقى الملك بالذئب البحري، وسمع منه ما سمعه من الثعلب البحري ، فأرسل وراء الوزير الذي حث الملك على حبسه عند أخيه الثعلب ، وبعد أيام أحضر لهم الصياد حيوانا بحريا شبيها بالفهد بعدما أخذ منه الأموال ، ولما جلس الفهد بين يدي الملك كرر طلب الزواج وطلب الإفراج عن صاحبيه ، وكالعادة أخبر الوزير بالأمر فأقبل مسرعا، ولما سمع مطالب الحيوان طلب من الملك أن يحبسه مع صاحبيه ، وشجعه على قتلهم جميعا ، فصاح الفهد : سنخطفك أيها الوزير إلى البحر ، ونحاكمك عند قضاتنا على ظلمك لنا .. وأنت أيها الملك المشهور بالعدل .. أين العدل؟! ما نحن إلا رسل مولاتنا الملكة فاخرج الأخوة وإلا ستتعرض للعقاب والمحاكمة

وأخذ الوزير بالضحك والسخرية وهو يقول : تخطفني ، كيف ستخطفني أيها الحيوان الحقير؟! خذوه أيها الحرس للسجن.. وغدا سأقتلكم أيها الأوغاد أمام عامة البشر .

فاستسلم الفهد البحري للحرس فسحبوه للسجن حيث التقى بالثعلب والذئب البحريين ، ولما أقبل الصباح جاء جنود السجن يخبرون الملك باختفاء الحيوانات الثلاثة ، فأرسل الملك وراء كرار الوزير ، فجاءه الرسول يخبره باختفاء الوزير من ليلة أمس ، فقد جاءه ثلاثة في الليل وأخبروه برغبة الملك برؤيته ، فخرج معهم ولم يعد ، فأدرك الملك أنها حيلة لخطفه، فحزن على

وزيره ، وخاف على نفسه، وقلق على ابنته ، فلما اختفى الوزير أخبر الملك الملكة بقصة الحيوانات الثلاثة ، ثم اطلع البنت على الأمر فقال : أيتها الابنة الغالية جاءنا رسول الأمير عبد الله البحري طالبا يدك للزواج .



وروى لها القصة ، ولما سمعوا قصة اختفاء الوزير كرار دب في قلوبهم الوهن وقالت الأميرة : يا أبي لماذا لم توافق ؟ أنسيت قصة السمك الذي كان يتكلم كلما طهوناه؟

قال بحزن : لا ، لم أنس يا فتاتي .. ولكني طلبت رؤية الأمير ؛ ولكنهم قالوا إنه لا يخرج إلى البر إلا بعد موت أمه الملكة ، ولم أفهم شيئا .. فهل توافقين على الزواج منه قبل أن يفسدوا علينا مملكتنا ؟

أجابت الفتاة ببساطة وطيبة :هذا قدري يا أبي !

فقال الملك : حكاية عجيبة !.. أيتها الأميرة .. سأنتظر عودتهم ، فلابد أنهم عائدون .

بعد أيام عاد الوزير وهو منهك القوى من الضرب والصفع واللطم الذي تعرض له، فقام الملك بعيادته فور سماعه خبر رجوعه، فلما شاهده أشفق عليه وحزن عليه

وقال : ما حدث أيها الوزير العتيد ؟!

بكى الوزير حتى أبكي الملك وقال : ماذا أقول يا مولاي ؟! .. فها أنت ترى ما بي .. زوجها لهم أعطها لهم .. أرجوك يا سيدي الملك ! لا تحشرني في هذا الموضوع .. لقد خطفوني كما هددوني وحاكموني بالضرب والصفع والعض إنه عقاب رهيب .. وحوش هجمت عليّ فأوسعتني ضربا وصفعا حتى كدت أن أموت فعفو عني ، وقالوا قل لسيدك أن يوافق على طلب الملكة البحرية قبل أن يشتد غضبها عليكم .. أرجوك أيها الملك وافق قبل أن نخسر أنفسنا .

خرج الملك من عند وزيره كرار وهو مرعوب خائف ، فلما دخل القصر أخبره الحرس عن حيوان بحري على صورة صقر أتى به الصياد وهو في انتظاره ، وكان الصياد قد صاده بشبكته

العتيقة ، وأعطاه الذهب ليوصله للقصر ، رحب الملك ترحيبا قويا بالصقر ، واستمع لمطالبه



وقال الملك في نهاية المطاف : إنني موافق أيها الصقر البحري على زواج ابنتي من الأمير البحري .

ففرح الصقر بالموافقة وشكر الملك ، وطار في الجو بعد أن وعد الملك بمجيء وفد لترتيب الأمر معه ، واجتمع الملك بالعائلة ، وأطلعهم على القصة ، واعترض أحد الأبناء وأحد الأقارب ، فأخبرهم الملك بما جرى على الوزير ، وطلب منهم زيارته وسماع خبره منه .

أصبح الصياد الفقير غنيا فقد ارتفع عنه اسم الفقر ، فاشترى بيتا جميلا له ولزوجته ، ولما علمت ضحى بذلك الأمر استغربت وتعجبت ، وفرحت للبيت الجميل ، وسمعت القصة من والدها قصة الحيوانات التي يصيدها ويرسلها لقصر الملك ويهبونه من المال الكثير ، فقالت : هو أنت الذي يحضر الحيوانات الغريبة للقصر .

وروت له ما صنعت الحيوانات بالملك والوزير فقال لها : يا بنيتي أنا صياد ارمي شبكتي في الماء فتخرج بها هذه المخلوقات الناطقة فتعطيني المال والذهب على أن أدلها على قصر الملك، فالحمد لله على هذه النعمة .. وإذا تزوجت الأميرة من الأمير المذكور فبيتك الجميل في انتظارك ، وسأبحث لك عن زوج صالح .

وأمضت ليلتها في بيت والدها الجديد وهي تفكر بقصة المال والحيوانات وأمير البحر الذي خطب الأميرة ، وهل ستذهب مع الأميرة كوصيفة أم تبقى في القصر أم تعود لمنزل والدها ؟ .

عجب الناس لغنى الصياد المفاجئ ، وانتشر خبره في المدينة ، وأنه يصيد حيوانات عجيبة تعطيه الذهب واللؤلؤ حتى وصلت أخباره للملك الذي أرسل وراءه، واستمع لحكايته فذكرها له من غير زيادة أو نقصان ، وعلم أنه هو الذي أحضر الحيوانات لقصره ، وعلم كذلك أنه والد ضحى وصيفة ابنته قمر الليل ، فأكرمه وصرفه بأحسن حال بعد أن طلب منه أن يستمر

بالصيد في المكان السابق حيث يصطاد الحيوانات البحرية الناطقة بلسان القوم .

ولم يطل الانتظار فقد صاد حيوانا على صورة غراب فأخذ منه المال وسلمه لحرس السلطان ، ولما مثل بين يديه قال : إن الأمير عبد الله البحري يرغب في رؤية الأميرة قمر الليل .

وحدد له يوما للقاء ، وأن يكون في منتصف الليل على متن سفينة في عرض البحر قرب القصر الملكي ، وأن تكون الأميرة وأمها ووصيفتها فقط من غير رجال على السفينة ، وانصرف الغراب بعدما رتب اللقاء وصفته ، ولما جاء اليوم الموعود دفع الملك سفينة في وسط المياه القريبة من القصر ، ولما اقترب نصف الليل نقل البحارة النساء الثلاثة حيث السفينة ، ثم رجعوا للقصر ينتظرون انتهاء زيارة أمير البحر .

صعدت إلى السفينة سمكة كبيرة ، وأحاطت بالسفينة أعدادا كثيرة من الأسماك ، استقرت السمكة على سطح السفينة حيث تجلس النسوة يرتقبن أمير البحر ، ثم شاهدن السمكة وهي تتخلص من ثوبها ؛ فإذا هو إنسان جميل الهيئة حسن الصورة ، وقد حمل ثوب السمكة ، وتقدم نحوهن ، وألقى عليهن التحية ، ثم أشار إلى قمر الليل وقال وهو يبتسم : أنت قمر الليل ؟ فهزت رأسها بالإيجاب قائلة وبعض الخوف يسري في أوصالها : نعم أنا قمر الليل من أنت ؟! تبسم مرة أخرى وقال : لا تخافوا ..أنا إنسان مثلكم .. أنا عبد الله البحري ابن ملكة البحر .. سأمكث معكم ساعة واحدة فقط حتى تروني وتطمئني لي أيتها الأميرة الجميلة ! .. ولقد أتيت لاستمع موافقتك وقبولك لي أهلا وبعلا .

فعندئذ قالت الملكة : وهل نستطيع أن نرفض أيها الأمير ؟!

فضحك الشاب البحري وقال : بالتأكيد تستطيعون رفضي .. فقد استأذنت أمي الملكة في ذلك وأنا طلبت هذا اللقاء الخطير والخروج على البر أي في الهواء من أجل سماع ذلك بصراحة أيتها الملكة .

فقالت الملكة : أيها الشاب لقد وافق الملك على هذا الزواج الغريب .. ولكن كيف ستتزوج الأميرة ؟!.. وكيف ستعيش الأميرة في البحر؟!

فعاد الشاب للضحك وقال : كما تتزوجون أنتم .. فهي لن تعيش تحت البحر أو في مائه .. ستصنع والدتي قصرا عظيما في بلادكم ، نصفه في البحر، ونصفه الآخر في البر ، ونسكن فيه حتى تموت أمي الملكة ، ثم يؤذن لي بالرجوع للحياة في البر كباقي بني الإنسان .. فالأميرة لا تستطيع الحياة في البحر ..الإنسان لا يعيش في الماء .. حياة البحر صعبة وأشق من حياة البر عندنا الحروب والنزاع والفتن مستمرة .. والقوي عندنا يبلع الضعيف .. أما أنا فلي قصة ليس مقامها الآن .. هل الأميرة الجميلة راضية بي زوجا لها عن قناعة ورضا ؟

فقالت الملكة : أيها الشاب شوقتنا لسماع قصتك وحياتك في البحر .

فقال : لا أستطيع أن أتكلم بأكثر مما ذكرت أيتها الملكة .. هل تقبلين يا قمر الليل بعبد الله البحري شريكا لك في حياتك ؟.

كانت الفتاة تسمع الحوار بينهما وهي مشدوهة، فلما سمعت اسمها قالت : إنك إنسان حقيقي مثلنا وشاب حسن الصورة .. فنحن وافقنا على الزواج منك أيها الأمير كما أرادت أمك الملكة

وقالت الأم : ومتى سيكون هذا الزواج الغريب ؟

فعاد الأمير البحري للضحك والابتسام وقال : الحمد لله على موافقتكم .. فعندما تبلغين السابعة عشرة سوف يتم الزواج ، أليس هذا قانون الزواج عندكم ؟

فقالت : بلى .. سيطول انتظارك إذن .

فقال : سنة وبضعة شهور .. سيتم خلالها تشييد القصر .

فقالت الأميرة : كيف نراك خلال هذه المدة ؟

فقال بحزن : لست أدري أيها الأميرة .. المهم أحببت أن أسمع موافقتك بدون ضغط وقد انتهت مدة الزيارة فها هم ينادون عليّ .

وقدم إليهم جواهر وعقودا بحرية ، ووضعها بين أيديهم ، وارتدى ثيابه البحرية ، وسلم عليهم وألقى نفسه في البحر ، واختفى عبد الله البحري ، وتبعته الأسماك الأخرى ، ولما أصبح الصباح أقبل البحارة وساقوا السفينة إلى مرساها في القصر ، وكان في استقبالهم الملك ووزيره والأمراء

على أحر من الجمر ، ولما رآهم الملك سري عنه الحزن والخوف وصاح فرحا : " ما وراءكم ؟! فقالت الملكة أمام السادة : أتانا الأمير البحري؛ فإذا هو إنسان مثلنا ؛ ولكنه محكوم عليه بالحياة في البحر لأسباب لم يذكرها ، وهو شاب جميل معتدل القوام قوي البدن ، صورة وجهه قريبة من وجه وصيفتنا ضحى ـ التقت عيني ضحى بقمر الليل ـ وقالت ضحى : أيمكن أن يكون أخي المفقود ؟! ، وقالت قمر الليل : أيمكن أن يكون أخ ضحى المفقود ؟! وكانت الملكة الأم تتابع الكلام : وهو إنسان يتكلم بلساننا ، ولكنه يلبس ثوب سمكة كبيرة ، ويحيا في الماء مع قومه الأسماك وعند أمه الملكة .. وروت لهم الغاية من زيارته ، فتعجب القوم مما سمعوا .. وهي حياة إنسان مع حيوانات البحر .

فقال الملك : إنها قصة غريبة ! ومتى يعود هذا الأمير؟

قالت الملكة : لا نعلم .. فعنده حكاية غريبة إن عشنا سوف نسمعها بأذن الله .

انتشر خبر خطبة الأميرة قمر الليل على أمير من سكان البحر اسمه عبدالله البحري ، وسوف ينتظر حتى تبلغ الأميرة سن زواج بنات الملوك والأمراء ، الكل يتحدث بالقصة وهو في حيرة وتعجب واستغراب من هذا الأمر ، وبينما الناس مشغولون بالقصة صاد الصياد صيدا على صورة هر فأخذ منه المال وسار به نحو قصر الملك ، وفرح الملك بوصول الهر ، فهم منذ لقاء الأميرة بالأمير لم يسمعوا عنه شيئا ، فبعد التحية والسلام قال الهر : أيها الملك الكريم أنا رسول ملكة البحر إليك .



فرحب به الملك واستمع له ، فابلغه أن عبد الله البحري يرغب ببناء قصر كبير نصفه في البحر ليقابل به إخوانه وأصدقائه من أهل البحر ، والنصف الآخر في البر ليعاشر به أهل البر، وترجوه

الملكة البحرية أن يقوم بهذه المهمة ، وأن المال الكثير سيكون بين يديه لتنفيذ هذه المهمة ، وأن يكمل البناء خلال السنة حيث تبلغ الأميرة سن الزواج المسموح به في بلدهم ، فوافق الملك واستدعى الأميرة التي جلست مع الهر تسأله عن زوج الغد ، فذكر لها أمره ، وأنه محب لها ودائم الفكر فيها ، وهو ينتظر بناء القصر بفروغ الصبر ، وبلغها التحية والشوق من خطيبها ، فأعطته الأميرة هدية للأمير عبد الله البحري ، وأعطاها من اللؤلؤ ما يسر العيون وانصرف بسلام ، وبعد أيام يسيرة بدأت صناديق الذهب والفضة واللؤلؤ تنهال على القصر ، وعلى الفور بدأ العمل بتشييد القصر الجديد قصر العروسين ، فاستعان الملك بأمهر البنائين لبناء قصر ابنته الوحيدة وزوجها الغامض ، وقبل أن تدخل الأميرة في ربيعها السابع عشر تم الانتهاء من بناء القصر وزخرفته حيث أصبح تحفة للناظرين ، وقد كمل تجهيزه بالأثاث ، وزرعت فيه الأزهار والورود وأنشئت الأشجار ، ولما بلغت الأميرة سنة الزواج أعلنت الأفراح في المدينة ، وأقيمت للأميرة حفلة ملكية في قصر الملك ، ولما جاء الليل وأنيرت المشاعل والشموع الملونة ، أتى الأمير البحري حيث اقترب من القصر وخرج إلى الأرض وترك إخوانه الأسماك في الماء وخلع ثوب الحوت ، وكان في انتظاره الملك والأمراء فسلموا عليه فرأوه إنسانا مثلهم ، وقدموا له حصانا أبيض كما طلب ، فركبه وركب الأمراء خيولهم ومشوا نحو القصر ، واحتفلوا به احتفالا يليق بالأمراء ، ثم أدخلوه على زوجته الأميرة قمر الليل ، وكان قد اتفقوا أن يسكن الأمير البحري في النصف المبني في البحر ليستطيع الحديث مع أهله البحريين ، وقد ترتب بينهم أن يقضي الليل في قصره ، والنهار مع حيوانات البحر ، فنصف حياته في مملكة البر، والنصف الآخر في مملكة البحر، وفي الصباح أقبلت الأميرات يباركن للعروسين ، وقد عجبن لاختفائه فأخبرتهن أن زوجها إنسان مثلهم ؛ ولكنه يعيش في البحر لقصة غريبة حدثت معه وهو صغير، وقد وعدها بالحديث عنها في أوانها المناسب.

يقضي عبد الله البحري الليل مع زوجته والإنس ، وقبل شروق الشمس يدخل البحر ، وسوف يستمر هذا الوضع حتى تموت أمه الملكة البحرية فيتحرر من أسر البحر إلى الأبد ، وكما قيل في

الحكم والأمثال السعادة لا تدوم ، فالوزير السابق الذكر لم يعجبه هذا الحال ، وكان حقودا حسودا ، فصمم أن ينتقم من ملكة البحر بإيذاء ولدها عبد الله ثائرا لنفسه التي أهينت عندما اعترض على زواج الأميرة ، ذات صباح استيقظ عبد الله البحري مع الفجر، فأراد أن يلبس ثوب السمكة البحري حتى ينزل البحر كعادته ، فلم يجده فسأل الزوجة فقالت : في المكان الذي وضعته فيه !

فقال بحيرة وارتباك : لم أجده !.

أسرعت الزوجة تبحث عن الثوب البحري فلم تجده ، فانزعج الأمير وقلق وأخبر إخوانه البحريين أن أحدهم سرق ثوبه ، فاضطرب القصر والخدم والحرس لهذا الحادث ، وعجل حرسه البحريون يخبرون أمه الملكة بالأمر ، ولما أشرقت الشمس بدأ الأمير يختنق شيئا فشيئا ، وأغمي عليه فصرخت الأميرة ، وأرسلت وراء أبيها الذي أتى مسرعا ومعه الملكة الأم ودب الرعب في القصر ، أقبلت حيوانات البحر وأخذت عبد الله الفاقد الوعي، ونقلوه للبحر وغاصوا به في الأعماق، وأمر الملك بالبحث عن السارق ، وأصيبت قمر الليل بالحزن والألم على زوجها الأمير ، وقامت أمها ووصيفتها ضحى بالتخفيف عنها ومن مصابها ، واشتد غضب الملك مع مرض ابنته ، وأقسم بأنه سيقتل من وجد عنده الثوب البحري أو شارك في سرقته ، واختفت أخبار الأمير البحري عن أهل البر ، لا أحد يدري ماذا جرى له ؟ هل مات أم ما زال على قيد الحياة ؟! علم الملك بعد حين أن الأميرة حامل من زوجها الأمير فكان في فرح وحزن وعجبوا لانقطاع أخبار الأمير، وغلب على ظنهم أن عبد الله قد هلك ، وقد فشل الملك بالوصول للمجرم ، فاستدعى الصياد القديم ، وحثه على العودة للصيد في المكان الذي كان يصيد منه الحيوانات الغريبة بعد انقطاع عن الصيد منذ بدأ الملك بتشييد قصر الأميرة ، فمن ذلك الوقت انقطع عن الصيد ، ولم يعد يرى تلك الحيوانات الغريبة ، فترك الصيد وانشغل بالبحث عن زوج مناسب لابنته ضحى ليهبه البيت الذي اشتراه ، وقد تقدم إليها أكثر من شاب؛ ولكنها كانت ترفض رغبة في البقاء في الخدمة عند الأميرة ، فلما تحدث معه الملك بشأن

العودة للصيد ، تشجع الصياد وطلب من الملك مساعدته بتزويج وحيدته ضحى حتى يطمئن عليها قبل رحيله عن هذه الدنيا ، فوعده الملك بذلك وصرفه ، وقد طلب منه زيارته بين الفينة والأخرى ، وغادر الصياد القصر فرحا ؛ لأنه أصبح بإمكانه مقابلة الملك في كل حين ، وهذا شرف كبير له لم يكن يحلم به في يوم من الأيام الخالية ، وبعد حين يسير أتى الصياد القصر واستأذن على الملك ، فأذن له وأخبره أنه وجد شابا مناسبا لابنته فرجاه أن يساعده في مهمته ، فطلب الملك ضحى وتحدث معها أمام أبيها ، وأنه وجد رجلا صالحا يرغب بالاقتران بها ، وأتت قمر الليل وشجعتها بدورها على الزواج من ذلك الشاب الذي اختاره لها أبوها ، فقالت ضحى : كيف أتركك يا سيدتي وأنت في هذا الظرف وعلى وشك ولادة ؟

فقالت قمر الليل : لن تتركيني يا ضحى سنبقى أصدقاء .. وستزفين إلى عريسك من القصر الملكي إذا سمح مولاي الملك ..

فقال الملك : هذا أقل الواجب علينا .. فضحى مثل ابنتي تماما .

وفرح الصياد وهو يسمع كلام الملك والأميرة ، فقالت ضحى : سأوافق يا مولاي بعدما أرى هذا الزوج .

فقال الملك : بالطبع يا ضحى .. هذا حقك فانظري إليه ، ثم قرري أمرك .

فقال الصياد : أجل .. أجل يا ابنتي .. أنا رجل كبرت سني ، ورق عظمي ، ووهنت قوتي ، وأريد أن أزوجك رجلا نبيلا قبل الفراق الأبدي حتى ادع الدنيا وأنا مطمئن عليك .

وأخذها الصياد بعد أن استأذن من الملك والأميرة إلى بيته لتتمكن من رؤية القرين ، وهناك أرسل وراء الشاب الخاطب الذي أقبل مسرعا لتراه عروسه ، ولما شاهدته ، وتعرفت على أسرته وافقت على الاقتران به ، وفرح الشاب بموافقتها ، وكان فرحه أكبر عندما علم أن حفل زواجها سيكون في قصر الملك ، وتم ذلك الزواج كما دبر له ، ولكن كان هناك حدث آثار الأميرة قمر الليل ، وهو عندما كانت تشرف على تزيين العروس لزوجها لحظت على عضدها صورة طائر قد شاهدت مثله على ظهر زوجها عبد الله .. فتذكرت زوجها.. وتذكرت كلام

ضحى عن أخيها المفقود ، ولمحتها ضحى وهي ساهمة تفكر فقالت : ما الذي يحزن الأميرة الصديقة .. لعلك ذكرت بعلك الأمير ؟

ابتسمت قمر الليل وقالت : نعم ؛ كأنك تقرئين الأفكار .. لقد شاهدت على عضدك صورة طائر .. وهي نفس الصورة المنقوشة على ظهر زوجي عبد الله .. فتذكرت حديثك عن السمك الذي كان ينطق في بيتكم .. ويخبركم بحياة عبدالله .. إنني أرى أن الأمير عبد الله هو أخوك المفقود يا ضحى .. فهو شبيه بك أيتها العزيزة .. لولا أنك تقولين أنه غرق فمات .. فيبدو أنه لم يمت يا ضحى ، ربما أخذته ملكة البحر وربته .. فالصورتان كأنهما رسم شخص واحد ..لا تبكي يا عزيزتي .. أنا آسفة .. فبعد الزواج بإذن الله سنعاود الحديث في هذا الموضوع الغريب .

وصلت الأميرة قمر الليل إلى هذه الحقيقة من قبل .. وزاد يقينها الآن أكثر فهي وصلت إلى ما نعرفه نحن .. وسنترك البر، وندخل للبحر لنرى ما حل بصاحبنا عبدالله البحري .

عبد الله البحري

قبل سنوات عندما كان عبد الله صغيرا ، وكان يرافق والده إلى البحر ، وفي المكان الذي اعتاد الصياد أن يصيد فيه ألقى الصياد الشبكة القديمة في الماء ، وملّ الصياد من الفشل ، فطلب من



عبد الله أن يمسكها قليلا آملا أن يكون حظه خير من حظه ، فأمسكها الفتى ، فشعر بعد حين بأنها ثقيلة ، فسحبها فلم يستطع فنادى على أبيه ، وقبل أن يصله أبوه ، كانت الشبكة تسحب الفتى إلى البحر، وجره الماء ، واختفى عبد الله في البحر ، صاح الصياد مستنجدا ؛ ولكن عبد الله قد اختفى ، فبكى وصرخ وحمله الناس إلى كوخه الحقير ، كان في الشبكة القديمة سمكة كبيرة فجذبت عبد الله ، لقد كانت هذه السمكة ملكة سمك البحر ، فأخذته إلى الأعماق بعد

أن تخلصت من الشبكة حيث عادت إلى الرمال التي كان يجلس عليه الصياد ، فوجدها الصيادون فأرسلوها للصياد الفقير ، وقررت السمكة تربية عبد الله في البحر، فذهبت به إلى ساحر البحر الذي رضخ لطلبها ، وصنع لعبدالله ثوبا بحريا ، ولبسه عبد الله ليستطيع الحياة في البحر ، وأعلمها الساحر أنه لن يستطيع الحياة على البر إلا بعد موتها ، فوافقت الملكة البحرية على ذلك ، وأصبح عبد الله حيوانا بحريا ، وكان أبناء السمكة الملكة يعتقدون أنه منهم ، وأحاطته الملكة بالرعاية والحماية ، وكانت الملكة قد ربطت عودته للبر بحياتها ، فهو لا يستطيع العيش والحياة في البر ، وكبر عبدالله البحري ، وكانت الملكة تريد أن تضمن له حياة سعيدة بعد موتها وعودته للحياة مع أهل البر ، فقررت أن تزوجه من ابنة ملك مدينة مرين ليحيا حياة الأمراء والسلاطين كما هو عندها في الماء ، فكانت تأمر كل سمك يصاد ويطبخ في قصر الملك أن يخبر الملك بهذه الرغبة ، وطلبت من كل سمك يطهوه الصياد في بيته أن يخبره بحياة ولده ، وأخفت هذه الحقائق عن عبدالله ؛ وكان عبد الله يكبر ، ولابد أن يعرف أنسيته ، وحتى لا يخونها أو يغدر بها قررت أن تغني والده وتعطيه من كنوز البحر وفعلت ذلك ، وخطبت له الأميرة قمر الليل ، ووافق الملك كما ذكرنا ذلك سابقا ، ولم علم عبدالله بذلك أبى أن يقبل حتى يسمع جواب الأميرة بنفسه ، فذهبت به الملكة لساحر البحر وأمام رجائها وضغطها سمح له بالتخلص من ثوبه ساعة يقابل بها الأميرة ، وحصل ذلك فعلا ، ولما بلغت الأميرة سن الزواج وتم بناء القصر ، وعادت الملكة تترجى شيخ البحر وساحره ، فسمح له بخلع ثوب البحر ليلا والعودة للماء قبل شروق الشمس حتى تقضى الملكة نحبها، ويتخلص من حياة البحر، وحصل ذلك؛ ولكن الثوب سرق كما علمنا ، ونقل الأمير إلى البحر وهو مخنوق مغمى عليه مشرف على الموت .

عاش عبد الله في البحر صغيرا ، وكان يرى المعارك والصراع الرهيب بين تلك المخلوقات ، وقد خاض المعارك وكثيرا من الحروب التي تنشب بين قبيلة الملكة والقبائل الأخرى ، وامتاز على كثير من الفرسان ، وأصبح سيد الفرسان في منطقته ، وكانت أمه الملكة به مسرورة وبقوته

وشجاعته وبراعته في الغوص والقتل لوحوش البحر ، فكان فارسا صنديدا عنيدا في البحر لا مثيل له بين اسماك مملكته، فكان يغدو في مغامرة ويمسي في أخرى ، ويتنقل بين ممالك الماء، ويتعرف على الملوك والأمراء ، فكان مخلوقا عجيبا بالنسبة لمخلوقات الماء ، ومن مغامراته في البحر أن أخا له أراد أن يتزوج ابنة ملك من ملوك البحر، فذهبت الملكة لخطبتها ، فلم توفق ورفض ذاك الملك ، فطلبت الملكة من الفرسان والأمراء خطف تلك الأميرة ، فسار عبد الله ومعه اثنان من إخوته إلى تلك المدينة ، وخطفوا الأميرة بغفلة من حرسها ، وأخذوها لمولاتهم الملكة التي حبستها حتى يوافق والدها على زواجها من ابنها الأمير ، وثارت الحرب بينهم ، قتل فيها في ذلك الملك وبعض أبناء الملكة ، ولما انتصرت على خصمها دمرت مملكته وقتلت فرسانها ، وتزوج ابنها الأميرة رغم أنف قومها ؛ ولكنها أهلكت نفسها بعد حين فرموها على شاطئ البحر ليأكلها البشر وحيوانات الشواطئ ، وقد حارب عبد الله في هذه الحرب ببسالة ومرة أخرى تعرضت الملكة للغدر والاغتيال فأنقذها عبد الله من الغادر، وتمت محاكمة الغادر بصرامة ، وقضي عليه بالموت ، وأن يؤكل إربا إربا ، فكبر حب عبدالله في قلب أمه الملكة البحرية الذي لم يكن يعلم أن حياته مربوطة بحياة الملكة ، وعلى أثر هذه الحادثة علم أن حياته كانسان متعلقة بموت أمه ، عرف أنه إنسي من البشر الذين يعيشون في البر، ويتنفسون الهواء ، وأخبرته يومئذ بأنها سوف تزوجه من إنسية عظيمة في المستقبل .

تعرض هو نفسه للغدر والخيانة من بعض أبناء الملكة، ولكن أمه وقفت معه بحزم وأمرت بموت الغادرين الخائنين ، فأمسى عبد الله مرهوب الجانب ، فأمه تقدمه على الكثير ، وهو يستطيع حماية نفسه بكل قوة وشراسة ، ولكن الأشرار لا ينتهون من الكون ، فقد خاض معركة ضخمة مع سباع البحر في أعمق أعماق الماء ؛ وذلك عندما ذهب هو واخوته لإحضار كنز من أحد الجبال البحرية ، فمنعتهم السباع من الولوج إليه ، فجرت معركة فريدة من نوعها ، وحصلوا على الكنز بعد استسلام الأسود ، وكانت محاكمتها عند قضاة مملكة أم عبد الله البحري فحكموا عليهم بالموت على سطح الماء بتنفس الهواء ، وأفاد كل هذا عبد الله أنه لا يعيش في

البحر إلا القوي الجبار.



مرضت الملكة ، ووصف لها ساحر البحر دواء متوفرا في جزيرة الصخر في قاع المحيط ، وهذه الجزيرة تحكمها مجموعة ضخمة من أسماك القرش ، وأن العلاج موجود في خزانة ملك هذه الجزيرة ، وهو حوت عملاق ، ولن يتم الحصول عليه إلا بموت الحوت العملاق ، فأرسلت الملكة رسالة مع عبد الله البحري للحوت العملاق ، فرفض إعطاءه الدواء ، فأمرت الملكة بتجهيز حملة من أشد الفرسان وأمرتهم أن لا يعودوا إلا بالدواء ، فتجهزوا بأشد الأسلحة الفتاكة والصخور الحادة وزحفوا إلى جزيرة الصخر أكثر من ألف فارس بينهم عبد الله البحري ونشبت بينهم معركة هائلة شابت لها رؤوس الولدان ، وقتل عدد كبير من الفرسان من الفريقين ، وأمام شراسة المعركة وحدة الصخور التي يحارب بها فرسان الملكة البحرية هرب السمك الشرس ، وظل الحوت العملاق وحيدا يقاتل ، وقام عدد من الفرسان على رأسهم عبد الله بالوصول إلى الخزانة ، وأخذ الدواء كله ، وكانت الفرسان قد أرهقت الحوت العملاق وأتعبته ، ولما علم بوصول الفرسان إلى خزائنه وأخذ ما فيها انفجر وتصدع قلبه فمات من شدة الغيظ والقهر ، واستولى فرسان الملكة الأحياء على كنوز الجزيرة ونقلوها لمملكتهم ، وتعافت الملكة بعدما شربت ذاك الدواء ، وبعد هذه الحادثة جرت خطبة الأمير البحري على الأميرة

البرية ، وسار بعد ذلك لمقابلتها وسماع رأيها ، فأخذته أمه لشيخ البحر فأعطاه قدرة على شم الهواء ساعة على البر ، ثم عاد للبحر ينتظر وقت الزفاف ، وذلك عندما تبلغ الفتاة سن التأهل للزواج في تلك المدينة ، وقامت الملكة بإرسال كنوز البحر من الذهب والجواهر إلى الملك العادل وخلال مدة الإنشاء هلك ساحر البحر بعد مرض عصف به ، واستلم أسراره ومكانه ابنه الكبير الذي جدد العهد مع الملكة بالمحافظة على بعضهما البعض ، حان موعد زفاف الأميرين ، وقامت الأم بترتيب كل شيء ، وأقامت له الملكة في البحر حفلا عظيما دعت إليه الكبار والصغار ، وكان الساحر الجديد قد رخص له بالحياة ليلا كبني الإنسان ، وفي النهار يعود لبني السمك حتى تموت أمه فيعود لحياة البشر ، وخرج في الليل لأهل البر فاحتفلوا به احتفالا كبيرا ثم ادخلوه على عروسه ، وبعد حين من الزواج سرق الثوب الخاص بحياة البحر وجرى له ما تعرفون ، فلما نقل للبحر حمل إلى شيخ البحر الساحر الجديد ، فقام بمعالجته وصنع له ثوبا جديدا ، وبعد زمن تعافى الفارس البحري ، وأخذت صحته تعود إليه من جديد ، وعلم أن أمه لن تسمح له بالخروج من جديد حتى لا يغدر به بنو البشر مرة أخرى فيهلك ، وقد بين لها الشيخ الساحر أنه لن يصنع له ثوبا آخر ، فحزن الأمير واشتد المرض عليه مرة أخرى ، ووصف له دواء من أحد الأماكن البعيدة فأحضره له إخوته ، وبعد زمن شفي من سقمه وترجى أمه أن تطلب من ساحر البحر أن يأذن له بالعودة لزوجته فرفضت قائلة : يا ولدي .. أخاف عليك الموت ، لقد ظننا أنك هلكت .. وشيخ البحر أقسم إنه لن يصنع لك ثوبا جديدا ، فأخاف عليك من غدر بني الإنسان .. فلتصبر يا ولدي حتى أفارق الحياة وتتحرر من ثوبك .. واعتبر نفسك أنك قد غرقت ومت قديما .. هذا حظك ونصيبك .. وسامحني يا ولدي .. لقد ارتبطت حياتك بحياتي فأنا أحببت لك الحياة فحصل ما أنت تعلم به .. أنقذك الساحر الأكبر من الغرق الأول وصنع لك ثوب البحر لتحيا في البحر .

فبكى عبد الله بين يديها بكاء حزينا ، وبكت الملكة لبكائه ، وبعد سنوات قليلة هلكت الملكة البحرية، وحزن عليها عبد الله ، بل كان أكثرهم حزنا عليها رغم قسوتها عليه في بعض الأحيان

للمحافظة على حياته ، وكانت الرسائل متبادلة بينه وبين أهل البر ، وبعد أن انتهوا من نقل جسد الملكة إلى جبل دفن الملكات والعظماء، واستلمت المملكة ابنة الملكة الكبرى سنا، وهذه خيرت عبد الله في البقاء في البحر أم العودة للبر ليرى زوجته وولده وأمه وأباه ، فاختار البر حيث تكون حياة الإنسان من غير تكلف وثوب بحر ، وكانت الملكة البحرية الهالكة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة قد أعلمته بحياة أبيه الصياد ، وما فعلته معه ، وطلبت منه أن يبحث عنه ، فجرى له وداع كبير استمر بضعة أيام ، وصعدوا به سطح الماء ، ولما أصبح رأسه في الهواء أخذ بخلع ثياب البحر وتسلمها أحد أعوان الساحر ، وأعطى ثوبا جميلا ، ووعدوه بأنهم سيزورنه في القصر ومعهم صناديق وكنوز البحر ، فودعهم وأخذ يستنشق الهواء بحرية وقوة حتى وصل لبيت الصياد الجديد، فخرج له زوج أخته الذي كان يفتح له الباب فقال له عبد الله : أليس هذا بيت الصياد أبي عبد الله؟

قال الرجل : بلى ، وأنا صهره .. من أنت ؟ فهذا بيت الصياد أبي عبد الله!

فقال الأمير : أريد رؤية زوجتك ضحى والصياد ؟ أرجوك ضروري هذا أيها الشاب المحترم اخبر زوجتك وقل لها أمير البحر يريدها ؟

احتار الشاب فقال : انتظر أيها المجهول !

وبعد دقائق جاء الصياد ، ونظر إلى عبد الله قليلا فخفق قلبه وقال : ماذا تريد يا ولدي مني ؟

بكى عبد الله لما سمع كلمة ولدي وقال : نعم ، أنا ولدك . قالها في نفسه ثم قال : أيها الصياد المسكين أتذكر وحيدك عبد الله الذي فقدته منذ سنوات أتذكره ؟

فدمعت عينا الصياد وقال : نعم ، ولماذا هذا الحديث أيها الشاب .. ؟!

قال الأمير : أنا من طرف عبد الله ولدك .. فهو حي يرزق يعيش مع الأسماك في البحر، ألم تخبرك الأسماك التي تأكلها بحياته ؟!.

صعق الصياد وصاح : عبد الله حي .. عبد الله حي! .

فقال عبد الله : ألم تخبرك الأسماك بحياته ؟ وأنه مسجون مع حيوانات البحر إلى أجل مسمى ..

فهو حي لم يمت .. هدأ من روعك أيها الوالد المسكين .

فقال الصياد والدموع تنساب على خديه المجعدين وهو يمسحهما بيديه : هل صدق ما تفوهت به ؟!

فقال الأمير : ولماذا أكذب عليك يا أبي ؟

فنادى الصياد زوجته وابنته ضحى فأقبلتا مسرعتين وكان يهتف: عبد الله حي ..عبد الله حي

فلما أقبلت ضحى ورأت عبد الله صاحت : أماه! .. الأمير عبد الله البحري !.

فقال الأمير دهشا : ضحى وصيفة الأميرة !.. أنت أختي يا ضحى .. يا والدي أنا ابنك عبد الله أنا ابنك عبد الله قد عدت إليك من السجن البحري .

واحتضن أباه وهو يبكي ، واحتضن أمه وما زال يبكي ويتنهد ، واحتضن أخته وهو يبكي ، وعانق زوج أخته وهو يبكي من دفء اللقاء ، كان لقاء لا يمكن وصفه بدقة ، لقاء حميما قبلات وتنهدات ، بعد يأس وعمر طويل يرى الأب فلذة كبده ، ومع دموعهم جميعا استمعوا لقصة عبد الله ؛ فكانت حياة عجيبة وغريبة في قاع البحر، وبعد أن هدأت العواطف ، قالت ضحى : يا عبد الله زوجتك الأميرة عرفت أنك أخي ، لقد ذكرت لي يوم عرسي بأنك أخي ، لقد رأت الوشم المرسوم على يدي ، فقالت يا ضحى هذا الوشم يشبه الوشم المرسوم على ظهر زوجي ، وكنت قد حدثتها عن السمك الناطق في بيتنا ، قالت كأن الأمير عبد الله هو أخوك المفقود .. فلم أصدق .. آه! كم شقيت الأميرة عليك أيها الأخ الحبيب ؟! .. لقد ولدت لك طفلا جميلا مثلك .

فقال الصياد : عظيم !! أنا الصياد الفقير أو الذي كان فقيرا .. صهرا لملك البلاد إن هذا لشيء عجاب .. إن هذا لقدر عجيب .

قالت ضحى : سأنطلق يا والدي الطيب لأخبر الأميرة ، لا ، لن أستطيع الصبر حتى الصباح فهي قد رفضت الزواج من بعدك .. كم كانت تسعد عندما يأتيها رسول من طرفك ؟.

فقال عبد الله : ترفقي معها في الحديث .

طارت ضحى إلى قصر الملك في ساعة لم تكن تأتيها بها ، وادخلوها إلى الأميرة قمر الليل التي استقبلتها بدهشة وفضول قائلة : ما وراءك أيتها الأخت العزيزة ؟! .. هل ألم بك مكروها ؟!

قالت ضحى : أيتها الأميرة عندي أخبار سارة لك هل تحتملين سماعها ؟

صفنت الأميرة قليلا وقالت وهي تضع يديها على صدرها : ماذا عندك ؟!.. هل عندك خبر عن عبد الله ؟!

قالت : نعم .. أتى عبد الله .. وهو أخي كما ذكرت لي ذلك ذات نهار مضى .

أغمى على الأميرة ، فصرخت ضحى ، فهرعت الجواري، وجاءت الأم وطبيب الملك وأتى الملك ؛ ليسمعوا خبر عودة عبد الله من البحر ، وسمع بعض القصة ، وذهب الملك بنفسه ، وأحضر الصياد وولده عبد الله الذي قص عليهم قصته وحياته في البحر ، وذكر لهم أنه الآن استرد حريته ، وتحرر من أسر البحر ، فعجبوا من حياة البحر وملوك البحر، وأحبه الملك ولم يتذكر أنه ابن صياد فقير، وساقوه إلى زوجته فقرت عينها برؤيته ، وعانق ولده الصغير ، وأمر الملك بتهيئة قصرهما الجميل، فأسرع الخدم للقيام بالمطلوب ، ودبت الحياة في القصر من جديد وسكن فيه الأمير ووالده وأمه ، ووهب الوالد الصياد البيت الذي يملكه لابنته ضحى وزوجها، وقام إخوته البحريون بزيارته وهنئوه بعودته لأهله وولده ، وجلبوا معهم الكثير من الأموال البحرية ، فأهدى أكثرها للملك والملكة ، ووهب للأمراء والفقراء ، وعادت السعادة للبيت والمملكة ، ولما سكنت النفوس سأل الملك ختنه ذات ليلة : يا عبد الله البحري .. هل عرفت من سرق ثوبك؟ وكاد يهلكك ذلك اليوم الأسود !

فقال عبد الله : إن أمراء البحر كانوا يرون أن لوزيركم يدا في سرقته ، فقد أغرى بعض الخدم أو الجواري بسرقته أثناء نومنا .

فقال الملك : سنبحث في الأمر أيها الأمير عندما تطمئن القلوب .. فهنيئا لك يا قمر الليل عودة زوجك البحري .. إنها تحبك كثيرا أيها الأمير فقد أبت الزواج من بعدك وفاء لك أيها الأمير الطيب .

فقال عبد الله : ستكون في عيناي وفؤادي أيها الملك ..وسأكون لها نعم الزوج .. أين ولدي الحبيب يا قمر الليل ؟!



قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

عبد الله البحري

